الانزيـاح الأسـلوبي عند محمد البشير الإبراهيمي -دراسة تطبيقية في خطبة كتشاوة أنموذجا-

Stylistic displacement for Mohamed Bachir Al Ibrahimi -Applied study in Katchawa's sermon as a sample-

عز الدين لخضر الزين *

أ.د.حسيبة حسين ♣

تاريخ الإرسال: 2021/12/24	تاريخ القبول: 2022/02/16	تاريخ النشر: 2022/11/10

الملخص:

يستخدم مصطلح الانزياح في الدراسات الأسلوبية والبلاغية والنقدية واللسانية العربية، لقدرته على الوصف، وما يمثله من أهمية في الثقافة العربية تراثا وحداثة.

وفي هذا المقال ستصب الدراسة على جهود أدبائنا العرب في استثمار ظاهرة الانزياح في نتاجهم الأدبي, ويهدف هذا المقال إلى استظهار أهم الانزياحات التي تجلت في خطب البشير الإبراهيمي، معالجا هذه الظاهرة الأسلوبية من جوانب غير مطروقة في خطبة كتشاوة كنموذج في التطبيق.

الكلمات المفتاحية : بلاغة،انزياح، التراث ،أسلوب، أسلوبية، خطبة

Abstract:

The Linguistic Shift term is used in the stylystic , rhetorical critical and linguistic studies , due to its capability of descriping , and what it stands for in the heritage and modernity of the Arabic culture .

The subject of this article is especially targetting the efforts are being made by our Arabic scholars in using the linguistic shift mode in their cultural production and also in reading and sounding out both the literary and critical legacies. Moreover, this article seeks to prove the relation

* جامعة البليدة 2 مخبر الدراسات الأدبية والنقدية Ea.lakhdar-ezzine@univ-blida2.dz

♣ جامعة البليدة 2 مخبر اللغة وفن التواصل Hassibahocine@yahoo.com

between the new modern stylistics and the Arabic rhetorical legacy as well as highlighting their theorizing and applied commonality. In addition, this article also aims to make some of these shifts that been used by Al Bachir Al Ibrahimi in his speeches visible to the audience. Additionally, Al Bachir Al Ibrahimi tackled the stylistic phenomenon in new aspects like never before in his Katchawa speech as an applied sample.

Key words: rhetoric, shift, heritage, style, stylstic, speech

المؤلف المرسل : عزالدين لخضر الزين azzedineezzine06@gmail.com

*** *** ***

1. مقدمة:

تعتبر الأسلوبية واحدة من دعائم الفكر الحداثي النقدي، كما أنها منهج نقدي حديث له جذوره في الموروث النقدي والبلاغي العربي.

ويهدف هذا المقال إلى رصد مكامن الجمال الفني من خلال الأدوات الإجرائية للمنهج الأسلوبي، ومن ضمن هذه الأدوات خاصية الانزياح.

إن للإنزياح أهمية خاصة في علم الأسلوب، كما أنه يهدف كمفهوم واسع إلى صورة جمالية وفلسفية تعطي بعدا جديدا، وانطلاقا من هذا المبدأ وفي هذا السياق تتضح لنا اشكالية محورية تتمثل فيما يلي:

كيف تجلت الانزياحات في خطبة كتشاوة للبشير الإبراهيمي ؟

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة نطرح أيضا جملة من التساؤلات وهي:

ماهي أسلوبية الانزياح؟ وهل هناك علاقة بين الأسلوبية المعاصرة والبلاغة العربية من خلال الممارسة والتطبيق؟

وقد اقتضى موضوع المقال أن يكون المنهج المتبع هو المنهج الأسلوبي في تقصي ظاهرة الانزياح وعلاقتها بعلوم البلاغة.

2. في حدود المفهوم:

1.2 في اللغة:

قد أطلق القدماء مصطلحات عديدة للإنزياح من بينها:

مصطلح "الاتساع" الذي استعمله القدامى ليعبروا عن انتهاك النمط التعبيري المألوف، ومصطلح "الانحراف" منقول من الدراسات النفسية إلى الدراسات الأدبية، وهو مصطلح يصف السلوك والمنهج والطريقة، إلا أنهم استبدلوه بالانزياح[1].

والانزياح لغة كما يرد تعريفه في قاموس المحيط: نزح، كمنع وضرب، نزحا ونزوحا: بعد والبئر: استقى ماءها حتى ينفذ أو يقل. والنزيح: البعيد والمنزحة: الدلو، وقوم منازيح: نزحت آبارهم[2]، وفي المعجم الوسيط يرد تعريف الانزياح لغة: والمنزاح: الذي يكثر الاغتراب إلى بلاد بعيدة (ج) منازيح، والمنازح: يقال بلد نازح وبئر نازح: قليلة الماء، النزح: الماء الكدر، البئر النزح: التي لا ماء فيها(ج) أنزاح[3].

وأنشد الأصمعي:

ومَنْ ينزَح به لابُد يَومًا يَجِيءُ به نَعْيٌ أو بَشِير[4].

أما في معجم اللغة العربية المعاصرة.. " نزح الشخص عن أرضه.. بعد عنها السكان النازحون عن ديارهم، نزح إلى العاصمة.. انتقل، سافر، نزح من الريف إلى المدينة.."[5] ، ومعنى الانزياح لغة في هذا المعجم، قد انزاح أيضا للتعبير عن معان متباينة، واشتمل هنا على معنى "الانتقال"، أي أن الانزياح هو انتقال من مكان إلى مكان، وفي اللغة هو انتقال من معنى إلى معنى.

2.2 في الاصطلاح:

أ-الانزياح عند القدماء من العرب:

اهتم علماء العربية منذ القدم بجماليات التعبير، واعتبرت اللغة شكلا من الأشكال الفنية الخاصة بالأدب، ووسيلة من وسائله، ولا يمكن الحديث عن الانزياح عند العرب دون أن نلتفت إلى معاني القرآن، وهو الأمر الذي قام به علماء اللغة من أمثال: الفراء،

فكان هذا الأخير قد وقف في معاني القرآن وقفة نحوية دلالية متأملة في الأبنية المجازية التي تفرد بها الخطاب الإلهي، اضافة إلى القضايا التي تخص النص القرآني من تقديم وتأخير، ومختلف الظواهر الصوتية المميزة له[6].

كما تعمق الجاحظ في تذوق أسرار البلاغة، والشيء نفسه الذي قام به الباقلاني في كتاب" النكت في اعجاز القرآن" والجرجاني في كتاب "دلائل الاعجاز"، ومعظم هذه الدراسات التي جاءت في حق النص القرآني تتفق على تفرد النص القرآني عن غيره، الأمر الذي يجعل الكلام في الآيات القرآنية خارقا لوحدانية البعد الدلالي[7]. ويعتبر الجاحظ من النقاد اللغويين الذين ميزوا بين مستويين للغة، المستوى العادي والمستوى البليغ ما يتعلق بمفهوم البيان.

وقد ورد مصطلح العدول بشكل واضح في التراث البلاغي العربي النقدي عند التعبير عن الحقيقة والمجاز، يقول ابن جني (ت395) : "وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي: الاتساع و التوكيد و التشبيه، فإن عدم تلك الأوصاف كانت الحقيقة البتة"[8].

أما عبد القاهر الجرجاني فهو يستعمل لفظا دقيقا للتعبير عن الانزياح وهو لفظ : "العدول"، ويشير إلى أن"الكلام ضربان : ضرب أنت لاتصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن بدلالة اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، فذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل"[9]

ب- الانزياح عند المحدثين من العرب :

لقد تعددت الدراسات الحديثة عند العرب في تحديدهم لمفهوم الانزياح، ومن بين الشخصيات التي سطعت في حقل هذه الدراسات، نجد ورود مفهوم الانزياح عند عبد السلام المسدي "باعتباره حدثا لغويا جديدا يتباعد بنظام اللغة عن الاستعمال المألوف، وينحرف بأسلوب الخطاب عن القواعد اللغوية، وهذا ما يشكل في الخطاب انزياحا"[10].

وعرفه صلاح فضل بأنه: " الإنتقال المفاجئ للمعنى"، فقد اشتهرت في الدراسات النقدية مقولة مفادها: أن وظيفة الشعر ايحائية، فالنثر ينقل أفكارا والشعر ينقل

عواطف ومشاعر وأحاسيس، وعلى سبيل المثال: نقول عن القمر: الكوكب الذي يدور حول الأرض، ويقول عنه الشاعر: المنحل الذهبي، فكلاهما يشير إلى نفس الشيء (القمر)، ولكن التعبيرين يختلفان في الدلالة ويشيران طرقا مختلفة في الوعي به[11]

كما اعتبر منذر العياشي أن:" ثمة معيار يحدد الاستعمال الفعلي للغة، ذلك لأن اللغة نظام وإن تقيد الأداء بهذا النظام هو الذي يجعل النظام معيارا، ويعطيه مصداقية الحكم على صحة الإنتاج اللغوي وقبوله[12].

إن المتأمل لهذه التعريفات يدرك قصور بعض الأسلوبين في تصور مفهوم الانزياح من حيث المعنى، إلا أن ما يحسب لهم لا عليهم هو تركيزهم على قضية السياق ودوره في تحقيق أسلوبية الانزياح.

ج- الانزياح عند الغربيين :

وقد ورد مفهوم الانزياح عند أهم النقاد الغربيين، من أمثال ريفاتير الذي يرى بأن الانزياح " خرق للقواعد حينا ولجوء إلى ما ندر من الصيغ حين آخر، فأما في حالته الأولى فهو من مشمولات علم البلاغة فيقتضي إذا تقسيما بالاعتماد على أحكام معيارية، وأما في صورته الثانية فالبحث فيه عن مقتضيات اللسانيات العامة والأسلوبية خاصة"[13].

و عرفه ماروزو بأنه: " اختيار الكاتب لما من شأنه أن يخرج بالعبارة عن حيادها وينقلها من درجتها الصفر إلى خطاب يتميز بنفسه"[14].

و هناك شخصيات أخرى قد لمع اسمها في مسار البحث البلاغي الحديث، ومن أمثال هؤلاء الناقد الغربي جون كوهن الذي يرى في مفهوم الانزياح :"الأسلوب انزياح فردي بالقياس إلى القاعدة[15].

فكوهن يرى أن الانزياح يكمن في الشعر إذ يقول: " في لغة الشعراء يوجد عنصر ثابت على الرغم من الاختلافات، أي وجود طريقة واحدة للإنزياح بالقياس إلى المعيار"[16].

أما تودوروف فهو يضبط مصطلح الانزياح بأنه "لحن مبرر"، فاللغة الأدبية ليست مجرد قواعد نحوية وإنما تتجه إلى الجانب البلاغي استنادا على المستوى النحوي، ويتمثل

ذلك في التقديم والتأخير والحذف، حيث يقوم المبدع بالتصرف فيه مما يفتح الأفق الرحبة أمام القارئ، "إذ ينزاح الدال عن مدلولته الأصلية المألوفة ويحل محله دلالات جديدة غير معهودة ولا محددة، حيث يمنح فرصة في تحديد المعاني أي كسر قاعدة لكل دال مدلول ويندرج هذا في المستوى اللانحوي الذي يمثل أريحية للغة[17].

3. أنواع الانزياح:

إن عملية العدول عند الجرجاني تتمثل في أن التقديم يكون على وجهين: الأول تقديم على نية التأخير الذي كان عليه. وفي جنسه الذي كان فيه. كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ. و المفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك "منطلق زيدٌ وضرب عمراً زيدٌ"[18]. ويتضح لنا جليا أن مفهوم العدول عند الجرجاني يندرج ضمن الانزياح النحوي.

أما العدول عند البلاغيين فهو: " العدول هو من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول"[19].

1.3 الانزياح الاستبدالي:

هذا النوع من الانزياح يتجلى في الاستعارة والتشبيه والمفارقة، حيث جاء على لسان الدكتور صلاح فضل: " الانزياح الاستبدالي يخرج على قواعد الاختيار للرموز اللغوية كمثل وضع الفرد مكان الجمع، أو الصفة مكان الاسم أو اللفظ الغريب بدل المألوف" [20]، كما أن الانزياح الاستبدالي يتقاطع مع الانزياح التركيبي، ونجد هذا في أن: " الانزياح الاستبدالي في وضع المفرد مكان الجمع مثلا لابد أن يترتب عليه انزياح تركيبي يتصل بضرورة التوافق في العدد بين أطراف الجملة، وعليه فإن ضرورة الإتيان بهما معا يخدم النظرية الأسلوبية "[21].

2.3 الانزياح التركيبي:

يرى الدكتور صلاح فضل أن " الانزياحات التركيبية تتصل بالسلسلة السياقية الخطية للإشارات اللغوية عندما تخرج على قواعد النظم والتركيب مثل الاختلاف في ترتيب الكلمات"[22]، وفي هذا الشأن يرى ج كوهن: " الانتهاك الذي يحدث في الصياغة، والذي يمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب ذاته"[23].

ومن خلال هذه التعريفات يتضح لنا أنا الانزياح التركيبي يتمثل في عملية النظم من خلال الصياغة في ترتيب الكلمات ضمن السياق اللغوي.

وقد نظر النحاة واللغويون إلى النحو باعتباره العامل الأساسي في تأدية المعنى، فالنحو عند السكاكي هو: " أن ننحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا، ليحترز بها عن الخطأ في التركيب"[24]، وقد دارت مباحث المعاني في كثير من جوانبها حول العدول عن النمط المألوف في صناعة الكلم، "فذكر المطابقة يدخل في المستوى العادي كالإعلال والتصحيح والاعراب، وقد كانت وسيلة البلاغيين في هذه الأبواب التقدير، سواء بالزيادة أو بالحذف والتنكير"[25]

ونجد أهم علماء البلاغة يرون بأن اللغة العربية تتميز بعدم حتمية ترتيب أجزاء الجملة تبعا لوجود حركة الإعراب التي تحدد المعنى، فقد قام البلاغيون بدراسة أنماط من التعبير تقوم أساسا على العدول عن الصياغة العادية المألوفة التي تعتمد على عقلانية الأداء"[26] ،فالانزياح التركيبي عند صلاح فضل هو: " مخالفة التراتبية المألوفة في النظام الجملي من خلال بعض الانزياحات المسموح بها في الاطار اللغوي كالتقديم و التأخير في بعض بنى النص كتقديم الخبر على مبتدئه"[27].

3.3 الانزياح النحوي:

من صور الانزياح في النحو نجد: "التقديم والتأخير، والمخالفة بين العدد والمعدود، والتذكير والتأنيث والخروج عن القاعدة اجمالا، وجميع صور الخلاف النحوي"[28]، ومن بين ما أقامه النحاة واللغويون مبحث المطابقة الذي يعتبرونه كخاصية تعبيرية تتميز بطاقتها الاحيائية، فهو عند أهل البلاغة: " العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول"[29]، وطبيعة المطابقة بعلاقتها السياقية تتمثل لغويا في "العلامة الإعرابية، وتتمثل أيضا في الضمائر والعدد من حيث الإفراد والتثنية والجمع وتتمثل أيضا في النوع من حيث التذكير والتأنيث"[30].

4.3 الانزياح الدلالي:

يتمثل الانزياح الدلالي في ظاهرة الرمز إذ ينزاح الدال عن مدلولاته الأصلية المألوفة، ويعتبر القارئ منتجا لدلالات تتوالد فيها المعاني، "فاللغة حين تكون بين صانع متمكن فهو يعتمد إلى استحضار أطراف لا تتنافر من حيث وجه الشبه، ولكن تتنافر من حيث كونها

أطرافا جديدة، فيستغلها المبدع من أجل اعطاء لمسة حديثة في لغته، ولأنها تتعدى كونها مجرد كلمات، فترتقي إلى رموز ثقيلة الوزن والبعد، استعارة كانت أم تشبيها"[31].

4. الانزياح بين الشعر والنثر:

لقد "ميز أرسطو بين لغة عادية مألوفة وأخرى غير مألوفة، وأقر بأن لغة الشعر هي غير لغة التخاطب[32]"، ولغة التخاطب يقصد بها اللغة العادية المبتذلة، كما أنه يؤكد بأن:" اللغة ما هي إلا مزيج من الألفاظ، ولكي نتجنب فيها الابتذال والسقوط لابد من استعمال الكلمات الغريبة و المجازات و المحسنات[33]"، ويتضح في كلام ارسطو أنه لامس شيئا من الانزياح، وذلك حين أقر بأن العبارة غير المبتذلة هي التي تتراوح وتبتعد عن استعمال الألفاظ المألوفة.

أما الانزياح عند كوهن هو: " البنية المشتركة بين الصور المختلفة التي تصنع هذا الخرق للغة الشائعة[34]"، فكوهن يرى أن الشعر أقل نحوية من النثر، أي أن النثر يراعي الدرجة الأكثر خصوصية للنحوية التي تمثلها الملائمة الدلالية، أما الشعر فهو يخرق قانون الملائمة، ويكون هذا من خلال خاصية تقليص الانزياح التي تتمثل في الاستعارة، إذ يحدث عدم الملائمة على محور التركيب ويحدث تقليص الانزياح على محور الاستبدال،" وهذا التغير في المعنى مرتبط بعلاقة التشابه في الاستعارة والمجاورة في الكناية وعلاقة الجزء بالكل في المجاز"[35]، أما فكرة الانزياح فنجدها متأصلة في كتابات فاليري النقدية، فهو في مقارنته بين الشعر والنثر، " يرى في تشبيه النثر بالمشي، والشعر بالرقص تشبيها خصبا جميلا... فإذا كان المشي وسيلة تقود إلى غاية، فإن الرقص هو الوسيلة والغاية معا"[36].

5. الانزياح الأسلوبي في خطبة كتشاوة للبشير الإبراهيمي- أول خطبة في يوم الجمعة الأولى في مسجد كتشاوة بالعاصمة أثناء الإستقلال-

لقد عرفت أمتنا العربية بأنها أمة البيان ووصف علماؤها بأنهم أئمة اللسان، ولابد أن نسلط الضوء على الموروث البلاغي لهذه الأمة، وذلك بالتطرق إلى أهم الآليات الأسلوبية في تحليل النصوص الأدبية، التي تم العمل عليها في مدوناتنا العربية بثياب الحداثة والمعاصرة.

وأتطرق في الجانب التطبيقي لهذا المقال إلى تتبع علاقة الانزياح بعلوم البلاغة حتى نبين قضايا الأسلوبية الحديثة والمعاصرة وعلاقتها بالبلاغة العربية، ويعتبر البشير الابراهيمي من بين أهم النماذج التي يمكن بواسطتها الموازنة بين قضايا النقد الحديث والمعاصر والنص العربي، وهذا ما سأفصل فيه في خطبة كتشاوة كنموذج.

1.5 أسلوبية الانزياح وعلاقتها بعلم المعاني:

علم المعاني هو علم يخص مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرأ عليها من تغيير، أو هو قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، حتى يكون وفق الغرض الذي سيق له، وفيه نحترز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، ونعرف السبب الذي يدعو إلى التقديم والتأخير والحذف والذكر والايجاز حينا والاطناب حينا آخر، أما الفائدة التي نجدها من علم المعاني فهي: "الوقوف على أسرار البلاغة في منثور الكلام ومنظومه"[37].

والمعروف أن علم المعاني يقوم أساسا على دراسة الأساليب بنوعيها الخبري والانشائي، فالجملة الخبرية لها من الطاقات التعبيرية الكاملة، والتي تتجاوز ذلك إلى آفاق دلالية أخرى، ومن بين الشواهد التي نجدها عند البشير الابراهيمي قوله في خطبة كتشاوة: "**إن الثورة قد تركت في جسم أمتكم ندوبا لا تندمل إلا بعد عشرات السنين...الآلاف من اليتامى**[38]."، ونجد البشير الابراهيمي يتحسر على مخلفات الثورة ومخلفات آلة الدمار الفرنسية التي تركت وراءها خرابا أتى على الأخضر واليابس.

أما غرض الدعاء فهو الآخر تتعدد المباني فيه للمعنى الواحد، ومن شواهد ذلك على لسان البشير الابراهيمي في خطبة كتشاوة: " **نعوذ بالله من كل داع يدعو إلى الفرقة، وكل ساع يسعى إلى التفريق والتمزيق**[39]"، أما فيما يتعلق بمعنى الإنشاء، فقد ورد على فترات متقطعة موزعا على بعض الأغراض كالتعجب والنداء والنهي والأمر.

فأما التعجب فنجد في قوله: " **ولكن العجيب الغريب معا والمؤلم والمحزن معا، أن ينبغي دين عيسى روح الله وكلمته على دين محمد الذي بشر به عيسى روح الله وكلمته**[40]"، ويظهر لنا مدى تعجب الابراهيمي من الناس الذين يدعون بأنهم على حق.

ونجد أيضا نداء في خطبة الابراهيمي في قوله:" **يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام**[41]" و"**يا معشر الجزائريين**[42]" و" **أيها المؤمنون**[43]"، والمتمعن في هذه الأساليب أنها جاءت بصيغة الجمع، مما يعني بأن القضية هي قضية مجتمع ككل، والملاحظ أيضا أن نمط النداء قد خرج على طلب الاقبال، مثال في قوله:" **يا إخواني**[44]" فنوع النمط نمط الاختصاص.

ونجد أيضا النهي في قوله:" **فلا تعاملوه إلا فيما اضطررتم إليه..**[45] " فاللام الناهية وفعلها في سياق القول جعل معناها النهي بدل الأمر، ومن أمثلة الأمر نجد في قوله:".. **فاشملوهم بالرعاية .. وامسحوا على أحزانهم بيد العطف**[46]"، وفي قول آخر: " **..فأعينوها بقوة، و انصحوها..**[47] "، فهو يأمر الشعب بالالتفاف حول الدولة.

ومن بين ما يمكن تتبعه كانزياح هو ما يتعلق بالايجاز والاطناب، بشرط أن يكون الايجاز مخلا وشرط الاطناب أن لا يكون مملا، غير أن الاطناب عند البشير الابراهيمي يعتبر سمة بارزة من سماته الأسلوبية، ومما برز لنا في قوله: " **إنكم خارجون من ثورة التهمت الأخضر واليابس**[48]"، أما الايجاز فنجد في قوله:" **وفقكم الله جميعا، وجمع أيديكم على خدمة الوطن، وقلوبكم على المحبة..**[49] "، فقد تميزت الجملة برشاقتها وخفتها، كما أنها تميزت بالأناقة والرابط المعنوي، فقضية الاطناب والايجاز هي جزء من التحليل التي تشترك فيه اللغة مع النقد والبلاغة.

والحديث عن تغير المعنى يرتبط بالتغيير الحاصل في بناء الجمل وترتيب الكلمات، ويمكن أن نلاحظ الكثير من التغيرات اللغوية التي تتشكل في النص في إطار علم المعاني في خطبة البشير الإبراهيمي.

2.5 أسلوبية الانزياح وعلاقتها بعلم البيان:

فالأسلوبية ليست بعيدة عن علم البيان الذي وقف عليه البلاغيون العرب، فمن خلال الصور البيانية ينتقل السامع من اللغة العادية الوظيفية إلى اللغة الفنية عن طريق المتلازمات التي تصاحب التشكيل اللغوي، ويمكن أن نقف عند موضوعات التشبيه ومحاولة تأصيل قواعد التشبيه الأساسية دون الإلتفات إلى قيمة التشبيه وأثره وسأحاول أن أبين هذا في خطبة كتشاوة عند البشير الابراهيمي.

إن التشبيه يخرج الخفي إلي الجلي ويدني البعيد من القريب، ويكسب المعني جمالاً وفضلا، واستخدم الإبراهيمي تشبيهات مختلفة ومتنوعة في خطبته لاستفزاز وعي القارئ، فمن أمثلة التشبيه نجد فقوله:" **كأن الأرض تلعننا بما فرطنا في جنب ديننا**[50]"، فالكاف أداة تشبيه والأرض مشبه وقد حذف المشبه به وهو المسجد وديننا هو وجه الشبه، فقد شبه الإبراهيمي المسجد بالأرض التي تلعننا بما فرطنا في جنب ديننا، فالتشبيه من أدوات الانزياح التي تبحث عن المعنى، كما أنه خاصية فنية تتفاوت بين الوضوح والخفاء بحسب القرب أو البعد.

ويمكن اعتبار الاستعارة هي جزء من المجاز اللغوي كما حددها السكاكي في قوله: "**هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإنابة**[51]"، ففي الاستعارة قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، ومن بين ما ورد من استعارات عند البشير الابراهيمي نجد ما يلي:

" **إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه**[52]"، فهي استعارة تصريحية تم حذف المشبه وهو الاستعمار وذكر المشبه به وهو الشيطان وذكر لازمة من لوازمه وهو اليأس من العبادة في الأرض، ونجد أيضا في قوله:" **ولا تجعلوا للشيطان بينكم وبينه منفذ يدخل منه**[53]"، وهي استعارة مكنية حيث ذكر المشبه وهو الشيطان وحذف المشبه به وهو السفاسف أو الصغائر مع بقاء لازم من لوازمه (منفذ يدخل منه)، فالاستعارة تبالغ في المعنى ويكمن جمالها في اخراج ما لا يدرك إلى ما يدرك بالحاسة.

أما الكناية فهي تشمل دلالات واسعة، فهي تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإشارة، وتختلف دلالاتها باختلاف مقتضى الحال، ومن أمثلة ذلك عند البشير الابراهيمي في خطبة كتشاوة نجد في قوله:" **سبحانه وتعالى جعل السيف فرقانا بين الحق والباطل**[54]"، فهي كناية عن العدل الإلهي، فاللفظة تتجاوز مجرد معناها المباشر، فالإبراهيمي تجاوز هنا الدلالات المعجمية إلى أفق من الجمال، فهذه انزياحات ايحائية تحتاج إلى رصد الظاهرة الأسلوبية في استخدام اللغة، فالكناية تضفي الدقة الايحائية .

3.5 أسلوبية الانزياح وعلاقتها بعلم البديع:

يتصل البديع بمحسنات تخص الكلام، وهذه المحسنات قسمان: قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللغة، فأما البديع المعنوي فهو يشمل الطباق والمقابلة وغيرها من الموضوعات، وأما البديع اللفظي فهو يشمل الجناس والسجع وغيرهما على حسب تحديد السكاكي.

فالجناس تاما كان أو ناقصا، وعلى المشاكلة في اللفظين (وهو من الظواهر اللافتة في ظاهرة التكرار الصوتي)، ونجد من أمثلة ذلك عند الابراهيمي في قوله:" **ونستنزل من رحمات الله الصيبة، وصلو اته الزاكية الطيبة**[55]"، والجناس هنا (الصيبة والطيبة)، ونوعه جناس ناقص كما أنه لا يوجد صلة بينهما في المعنى، ونجد أيضا جناس اشتقاقي في قوله:" **ساع يسعى**[56]" وأيضا في قوله:" **.. هذه القطعة الغالية من أرض الإسلام التي نسميها الجزائر، والتي فيها نبتنا، وعلى حيها ثبتنا .. ومن نباتها غذينا وفي سبيلها أوذينا**[57]"، فالجناس هنا متوفر بنوعيه، جناس اشتقاقي في (نبتنا نباتها)، فالكلمة في الموضع الأول تدل على النمو، ومكانها في الموضع الثاني تدل على الثروة.

وبناء على هذه الثنائيات كالطباق والمقابلة هي ثنائيات تضادية، فالمقابلة هي أن يؤت في الكلام بمعنيين أو أكثر، ثم يذكر بعد ذلك ما يقابلها، ومن أمثلة ذلك عند الإبراهيمي نجد في قوله : " **وهذا المسجد هو حصة الإسلام من مغانم جهادكم، بل هو وديعة التاريخ في ذممكم، اضعتموها بالأمس مقهورين غير معذورين، واسترجعتموه اليوم مشكورين غير مكفورين**[58]"، والمقابلة هنا واضحة وهو أن المسجد سلب منكم في الماضي عن احتقار ومهانة، ولكن اليوم استرجعتموه عن جدارة، والملاحظ من خلال هذه الثنائيات المتقابلة أنها تقوي الصلة بين الألفاظ والمعاني، ذلك لأن الضد أوضح في الدلالة على المعنى من الشبه.

أما الطباق فهو الجمع بين الضدين بين شيء وضده في الكلام، ومن بين ما هو موجود من طباق عند الإبراهيمي نجد ما يلي: (المصلح المفسد) (الحق الباطل) (القوة الضعف) (الحرية العبودية) (الموت الحياة)، ونوعها طباق الايجاب، أما طباق السلب فنجد ما يلي: (يَقتلون. يُقتلون)، (خرج. لم يخرج)(يملك. لا يملك) فكل هذه المتضادات زادت من ايضاح المعنى والأفكار.

أما الانزياح الاستبدالي فيتمثل في المحسنات البديعية والصور البيانية، وما يمكن رصده عند الإبراهيمي نجد ما يلي في خطبة كتشاوة :" **وما ظلم الأولين ولا حابي الآخرين**[59]"، وفي مثال آخر في قوله:" .. **يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا**[60]"، فحدث تداخل بين الجناس والطباق في هذا المثال.

وبناء على هذه الثنائيات فإن التحولات في اللغة أو انحراف الكلمات يدخل في سياق البديع، فالظواهر البديعية تتصل أساسا بالجملة، وهذا النظام اللغوي يهتم باللغة عندما تنحرف عن المألوف فتنتقل من مجرد لغة إلى لغة فاعلة أو إلى ما فوق اللغة.

6. خاتمة:

لقد انتقل مفهوم الانزياح بفعل جهود الدارسين العرب في مسار البحث البلاغي والنقدي، ومهما اشتد الخلاف حول مفهوم الانزياح، إلا أنه يعتبر كأحد المنظورات الملائمة لوصف مستويات التشكيل الأسلوبي مستفيدا من منابع البلاغة، كما يعتبر الانزياح هو الواسطة التي شدت البلاغة الكلاسيكية بالنظريات الحديثة والمعاصرة، بل من أهم العوامل في بعثها الحالي من خلال البلاغة الجديدة ونظريات علم النص.

ويمكن اعتبار ظاهرة الانزياح في خطبة البشير الإبراهيمي من الظواهر الأسلوبية التي برزت بروزا ووضوحا جليا، أدت إلى تقوية لغته الأدبية وابتعادها عن الكلام العادي والمألوف، كما أدت إلى لفت انتباه المتلقي واثارة ذهنه، إذ لم يعمد الإبراهيمي إلى توظيفه للإنزياح بشكل عشوائي، وإنما كان التوظيف توظيفا نوعيا وعن وعي منه بغرض مفاجأة المتلقي بشيء جديد، ودليله في هذا هو تركيزه على ضرورة مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ويمكن القول بأن البلاغة في خطبة البشير الإبراهيمي لم تخل من بعض الاستعمالات التي تترجم الخروج عن المألوف، كاستخدامه للإنزياحات الاستبدالية من استعارة وتشبيه وكناية.

*** *** ***

7.الهـــوامش:

1- موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، الكويت، 2003، ص 44.

2- مجي الدين بن يعقوب الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ، تحقيق أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص1600،1599.
3- شعبان عبد العاطي عطية، أحمد حامد حسين، جمال مراد حلمي، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إشراف شوقي ضيف، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004، ص 913.
4- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، 2003، ج،2 ص614.
5- عبد الحكيم راضي، نظرية اللغة في النقد العربي، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 2003، ص 46.
6- رجاء عيد، البحث الأسلوبي، معاصرة وتراث، منشئة المعارف بالإسكندرية، مصر، 1993، ص 149.
7- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للجزائر، 2010، ج1، ص205.
8- أبو الفتح عثمان، ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، القاهرة، ج2، ص 442، 444.
9- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، تح: شاكر محمود، دار المدني، ط3، مصر، 1413 ه/1992 م، ص 228.
10- نور الدين السد، المرجع نفسه، ص205.
11- منذر العياشي، الأسلوب وتحليل الخطاب، دار الانماء الحضري، ط1، سوريا، 2002، ص 204.
12- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، تونس، ص 103.
13- محمد عزام، الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة، ط1، سوريا، 1989، ص 31.
14- عبد السلام المسدي، المرجع نفسه، ص102.
15- نور الدين السد، المرجع نفسه، ص208.
16- نور الدين السد، المرجع نفسه، ص102، 103.
17- محمدعبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مكتبة لبنان، ط1، 1994، ص274.
18- محمد عبد المطلب، المرجع نفسه، ص276.
19- صلاح فضل، علم الأسلوب ومبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، 1998، ص116.
20- صلاح فضل، المرجع نفسه، ص117.
21- صلاح فضل، المرجع نفسه، ص176.
22- محمد عبد المطلب، المرجع نفسه، ص268.
23- محمد عبد المطلب، المرجع نفسه، ص269.
24- محمد عبد المطلب، المرجع نفسه، ص270.
25- محمد عبد المطلب، المرجع نفسه، ص273.
26- صلاح فضل، المرجع نفسه، ص116.
27- يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، ط1، عمان، 2007، ص188.
28- محمد عبد المطلب، المرجع نفسه، ص276.

29- محمد عبد المطلب، المرجع نفسه، ص277.

30- خيرة بن علوة، تلقي الصورة البلاغية بين الأثر الأسلوبي والدور التواصلي، وقفات تحليلية على نماذج من رواية "الأسود يليق بك" لأحلام مستغانمي، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، مكتبة المعارف الجديدة، الرباط، 2014، ص34.

31- خالد سليكي، من النقد المعياري إلى التحليل الألسني، ص414.

32- أرسطو تاليس، فن الشعر، تر: عبد الرحمان بدوي، دار الثقافة، د ط، بيروت، لبنان، ص 61.

33- أرسطو تاليس، المرجع نفسه، ص 62.

34- خالد سليكي، المرجع نفسه، ص 416.

35- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان المعاني والبديع، المكتبة العصرية،ط1، بيروت، 2008، ص37.

36- ينظر، أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 2002، ص 87.

37- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان المعاني والبديع، المكتبة العصرية، ط1،بيروت، 2008، ص37.

38- أحمد طالب الابراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الوعي للنشر والتوزيع ، ط5، الجزائر، ج5 ، 2016 ،ص307.

39- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص 306.

40- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص 307.

41- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص 306.

42- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص 307.

43- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص 307.

44- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص 308.

45- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص 307.

46- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص 308.

47- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص 308.

48- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص 308.

49- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص 308.

50- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص 307.

51- السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وكتب هوامشه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1983، ص384.

52- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص 307.

53- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص 308.

54- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص 305.

55- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص306 .
56- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص306 .
57- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص306 .
58- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص305 .
59- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص305 .
60- أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص305.

*** *** ***